



ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: <https://wjfh.uowasit.edu.iq>*** Corresponding Author****Mohammad Taha Sabir****Fadhil Jabir Dahi**College of Education for
Human Sciences, University
of Wasit**Email:**Mohammad.taha.his96@gmail.
comFjabir@uowasit.edu.iq**Keywords:** Orientalism,
Muslim Women, Abbasid
Era, Middle Ages**Article history:**

Received: 2025-06-06

Accepted: 2025-07-06

Available online: 2025-08-01



The Attitudes and Opinions of Orientalists Regarding the Status and Activities of Women in Abbasid Society until 334 AH/945 CE

ABSTRACT

Muslim women have been the focus of attention for many Orientalists, with differing opinions on this topic, particularly regarding women's roles and activities during the Abbasid era, which represented the pinnacle of Islamic civilization. This study aims to address the contradictions raised by Orientalists regarding Muslim women, while seeking to explain the reasons for Muslim historians' interest in documenting women's lives—an aspect often overlooked by Western researchers, particularly in political and spiritual contexts. Furthermore, the study seeks to compare the status of women in Islamic society with that of medieval European society, shedding light on the image and status of women in the Middle Ages. Hence, this study compares the activities of Muslim women with those of medieval European women, the home of Orientalists. Despite the restrictions imposed on women by Islamic society, they emerged during the Abbasid era as a force that competed with men for power. Furthermore, their spiritual influence as Sufis and ascetics was admired and praised by authors. On the other hand, women's activity in society has aroused the interest of authors in writing about them in separate works devoted to that purpose, as will become clear through the pages of this research.

مواقف وآراء المستشرقين من أحوال المرأة ونشاطاتها في المجتمع العباسي

132 - 334هـ/750-945م

الباحث محمد طه صبر / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة واسط
أ.د. فاضل جابر ضاحي / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة واسط

المستخلص

شكلت المرأة المسلمة محور اهتمام بارز لدى عدد كبير من المستشرقين، إذ تباينت آراؤهم بشأنها من مستشرق إلى آخر ، بخاصة ما تعلق بدورها ونشاطها خلال العصر العباسي الذي يُعد مرحلة مثلت ذروة نشاط الحضارة الإسلامية . وتهدف هذه الدراسة إلى معالجة التناقضات التي أوردها المستشرقون عن النساء المسلمات، وتسعى في الوقت نفسه إلى تفسير أسباب اهتمام المؤرخين المسلمين بتدوين أخبار النساء، وهو جانب كثيراً ما تجاهله الباحثون الغربيون ، خصوصاً في المجالات السياسية والروحية. كما تسعى هذه الدراسة إلى مقارنة وضع المرأة في المجتمع الإسلامي ونظيره الأوروبي خلال العصور الوسطى، بهدف استجلاء صورة المرأة ومكانتها في العصور الوسطى

الكلمات المفتاحية : الاستشراق ، المرأة المسلمة ، العصر العباسي ، العصور الوسطى

المقدمة :

أدت النساء أدواراً متعددة إبان حكم العباسيين وباتت على قدم المساواة مع الرجال أو بعبارة أدق بدرجة الأنثاد بصورة أكثر مما في العهدين اللذان سبقا حكم العباسيين على الرغم من التحذيرات الاجتماعية التي عرف بها المسلمون (هارتمن ،2021، ص215-221) . فسياسة المجتمع ومعايير إبان حكم العباسيين تغيرت نتيجة تلاقح الثقافات بين الشعوب والأمم ومن بينها علاقة العباسيين مع النساء (الربيعي والقريشي،2024، ص101-103)

لكن السؤال يبقى ما طبيعة الرؤية الاستشراقية لمكانة المرأة في المجتمع الإسلامي آنذاك وسواء كان ذلك في العصر العباسي أو قبله أو حتى في عصرنا الحالي؟ وما طبيعة الأدلة التي اعتمدتها الرؤية الاستشراقية؟ وما مصادرها ؟.

وحتى نجيب عن ذلك يرى فرانز روزنثال أن الاستعانة بظروف الحاضر لدراسة الماضي وتفسيره لا يمكن إلا أن يزيد من التناقضات التي يروم المؤرخ حلها واكتشافها (Rosenthal،1977، ص22-3 PP)

إن بعض رؤى المستشرقين عن أحوال المرأة في المجتمع الإسلامي اتسمت بكونها غير دقيقة ، من خلال الشواهد المفردة والحالات الشاذة عن نشاط المرأة أو ما قدمته من إسهام ، إذ اتسم انه كان مقيداً بيد ولي الأمر، من قبيل الزواج لكلا الجنسين بعمر مبكر والميراث وحتى خروجها من بيتها ارتبط برضا الزوج وموافقة بغض النظر عن طبيعة الحاجة التي دعت المرأة للخروج والسعي لإتمام المهمة . فضلاً عن أن الجوّاري لم يتمتعن بذات مستوى الاحترام والحقوق التي تمتعت بها المرأة الحرة . وأيضاً قضية تعدد الزوجات، التي أحلها الشرع وحددت بأربع نسوة أو ما ملكت يمين الرجل على أن هذا الحال لم يكن يشمل جميع أفراد المجتمع الإسلامي بل القادرين منهم والأثرياء مادياً ، إذ اكتفى الميسورين مادياً من المسلمين بالمفهوم التقليدي للزواج أي الزوجة الواحدة ، لأن تعدد الزوجات تطلب نفقات ووقت أكثر للرجل بين زوجاته

(كاهن، 2010، ص 198) . ثم ان تعدد الزوجات لم يكن غايته إشباع للرغبات بل هو أحد أشكال نظام التكافل الاجتماعي للنساء الأرمال والمطلقات بدل الانجرار والانحراف نحو طرق الرذيلة والفساد.

ويبدو لنا أن النظرة الضيقة النظرة التي تبناها المستشرقين لمكانة المرأة تقف خلفها جملة من العوامل:

الفهم الخاطئ لبعض الآيات القرآنية الكريمة (بالتا، 2023، ص 93-100 ؛ 141-150)

الشذوذ في الروايات التاريخية والانفراد بحادثة معينة لا نجد لها نظيراً في باقي كتابات المؤرخين (هامبلي، 2014، ص 77-88) .

النقل والاقتباس مما دونه الأدباء عن أخبار المتيمن والعشاق، او ما ادعت به هذه الفئة من المؤلفين عن أخبار النساء .

(Matthew Gordon & Kathryn A. Hain 2017, PP 53-54)

قصص ألف ليلة وليلة التي ارتبط بعضها بتاريخ بغداد (كلو، 1986، ص 65-71، مروزي، 2023، ص 77-87) .

غالباً ما بنيت بعض التفسيرات على المشاهدات التي قدمها الرحالة الأوروبيون للبلاد الإسلامية في العهود المتأخرة منذ زمن المماليك حتى زمننا المعاصر، فمن خلالها بنيت رؤى مشوهة عن المجتمع الإسلامي، بالرغم من أن أولئك الرحالة لم يتسن لهم الاستقرار إلا لمدة تتعدى بضعة أيام فأنى لهم الاطلاع على خبايا المجتمع الإسلامي؟ (هامبلي، 2014، ص 202، ومن الأمثلة على تلك الرحلات التي قام بها التاجر الإيطالي ميشولام بن مناحيم الفولتيري في عهد المماليك) .

الزواج المبكر الموضوع الذي كان ولا يزال الإشكالية الأكثر جدلاً :

وبالحديث عن الزواج المبكر وبصفة أوروبا بلد المستشرقين وموطنهم الأول لا بد لنا من إمعان النظر في تاريخهم حتى يكون بمقدورنا حسم وموازنة تناقض وإشكال المستشرقين عن الزواج المبكر في الإسلام (Kotapish, 2000, P18) ، إذ كان الزواج في الأعمار التي تتراوح متوسطها بين الثانية عشر والرابع عشر شائعاً جداً في أوروبا عند اليهود والنصارى على حد سواء ، ويدعم من رجال الدين من كلتا الديانتين الذين شرعوا ذلك (Lowry, 2007, P79 ؛ Fleming, 2000, P22) (! فكثيرين الثانية إمبراطوره القسطنطينية 713-732هـ / 1313-1331م لما بلغت من العمر عشرة أعوام تزوجت فيليب الأول 713-732 هـ / 1313-1331م ملك البانيا الذي أمسى إمبراطوراً، في ذات العام الذي تربعت على عرش الإمبراطورية البيزنطية) (M. Setton & W Hazard, 1975, Vol3, P109) .

كما أن كثير من زيجات النبلاء كانت غايتها بناء تحالفات سياسية وتوسيع الممتلكات لملوك وأمراء أوروبا على حد سواء (Lowry, 2007, P79) ، فالإمبراطورة كاثرين الأولى خطبت لثلاث مرات في محاولة لإتمام صفقات سياسية الأولى سنة 687 هـ / 1288م ، من قبل ميخائيل التاسع باليولج 694-720 هـ / 1294-1320م قبل تنويجه إمبراطوراً للقسطنطينية بستة أعوام (Nicol, 2008, P151) ، وتقدم لخطبها سنة 695 هـ / 1295م فريديكو الثالث ملك صقلية 1295-1337م (Schein, 1991, p159) ، وفي المرة الثالثة جيمس الراهب ت 731 هـ / 1330م ابن جيمس الثاني ملك جزيرة ميورقة الإسبانية الذي قدر له الحكم مرتين 675-685 هـ / 1276-1286، 1295-1311م في عام 698 هـ / 1298م (Amari, 2007, 241) ، حتى انتهى المطاف بها سنة 701 هـ / 1301م بأن صارت زوجة ثانية لفيليب الثاني 669-684 هـ / 1270-1285م (Brown, 1991, P178) .

إن التفسير الأكثر قبولاً لظاهرة الزواج المبكر عند المسلمين هو ان المسلم يؤجل البناء بزوجه إذا كانت دون عامها التاسع أي إن حق الفراش لا يكون إلا بعدما تكون المرأة مهيئة للحمل والولادة وقبل هذه المدة في مرحلة تكون غير مستعدة

للإنجاب والعناية بالمولود ، والشاهد الذي يؤكد رأيه في الإطار الزمني لموضوع بحثنا زواج المأمون ببنت وزيره بوران بنت الحسن بن سهل سنة 202 هـ / 817م ودخل بها بعد مرور ثمانية أعوام من عقد قرانهما (الطبري، 1967، ط2، ج10/ص109؛ الخطيب البغدادي، 2002، ج7/ص331؛ ابن الجوزي، ج1/ص1992، 109م) . بالعودة لدور النساء في عهد العباسيين ومواقف المستشرقين من ذلك ففي السياسة وإصدار الأوامر ومؤامرات البلاط ، لبعض النسوة دور في صياغة القرار السياسي أكثر من الخلفاء أنفسهم في بعض الحالات على أن التحليل النفسي لمثل هذه الحالات وبخاصة في البلاط لكون الخليفة ذا شخصية ضعيفة فضل اللهو والترف على النظر في أمر السياسية والرعية ، لدرجة أن النساء صرن مسؤولات عن إبداء القرار والرأي دون الرجوع الى الخليفة نفسه وإبلاغه !!، ومن الشواهد على ذلك أن الخيزران ت 173 هـ / 789م تمتعت بشخصية قوية استطاعت فرض رأيها على زوجها المهدي لذا كان الخليفة للأعوام 158-169 هـ / 775-785م ، بإبعاد بعض حاشيته عن مناصبهم التي أنيطت بهم او إعفائهم وعزلهم بصورة نهائية (القطني، 2005، ص81) ، مثلما جرى مع الطبيب جبريل بن بختيشوع ت 213 هـ / 828م اذ صارت تصنع في مناكدته مع طبيبيها أبو قريش (اسمه يعقوب بن ماسه او ماسويه ويعرف أيضا بعبسي الصيدلاني لم يذكر المؤرخون تاريخ ولادته او عام وفاته ، وهو من الأطباء النصارى ، عمل طبيبا خاصة للخيزران وبعض الخلفاء العباسيين ، ابن أبي أصيبعة ، د.ت، ص215؛ ص257) فاضطر زوجها لإعادته لدياره (القطني، 2005، ص81) ، ولما تعارضت تطلعاتها مع ولدها موسى الهادي 169-170 هـ / 785-786م الذي صار الخليفة بعد أبيه انتهى به المطاف مقتولا ، بعد ان منعها من النظر في أمور الدولة (الطبري، 1967، ط2، ج8/ص206؛ مسكويه، د.ت، ج3/ص489)، وفي ذلك أكد المستشرق الفرنسي اندري كلو دور (اندري كلو : صحفي ومؤرخ فرنسي ولد في عام 1909م في مدينة غرونوبل الواقعة في جنوب شرق فرنسا، وخلال الأعوام 1936-1945م، عمل وكالة هافاس الإخبارية ، وما بين عامي 1943-1945 في راديو برازافيل ، ومن ثم انتقل الى العمل في وكالة فرانس برس حتى تقاعده ، وترجم له عدد من المؤلفات سليمان القانوني ، توفي عام 2002م ، شبكة الإنترنت مقال منشور على موقع ويكيبيديا الخيزران في اغتيال ولدها بقوله: "من الأرجح أن يكون قد سقي سمًا بطيء المفعول دسسته أمه في شرابه..." (كلو ، 1986، ص47) .

ويرى المستشرق البريطاني هيو نايجل كينيدي Hugh Nigel Kennedy (هيو نايجل كينيدي : مؤرخ بريطاني ولد عام 1947م ، نال درجة البكالوريوس من جامعة كامبردج عام 1969م، ثم نال درجة الدكتوراه عام 1978م من كلية الدراسات الشرقية، من مؤلفاته المترجمة الفتوح العربية الكبرى كيف غير انتشار الإسلام العالم الذي نعيش فيه، فضلا عن كتاب بلاط الخلفاء الذي كان موضوع اطروحته في الدكتوراه ، بعنوان السياسة والنخبة السياسية في بدايات العصر العباسي ، الفاضلي، 2022، ص43-44) أنها أمست المرأة الأولى في البلاط بقوله: "أمست المرأة المسيطرة التي لعبت دوراً مهماً في حياة البلاط العباسي، وتاريخها الحافل يعني أنها استطاعت ان تجتذب قدراً كبيراً من انتباه الإعلام ، ولأنها قضت معظم حياتها في السر في العالم المنعزل للحريم ، كان معظم ما كتب عنها، بدون شك هو عبارة عن تخمين وخيال ولكن الصورة في حد ذاتها تثير الاهتمام ومعظم التفاصيل الخيالية تتماشى تماماً مع الحقائق التاريخية المعروفة عن حياتها." (كينيدي، 2009، ص244) بيد انه لا يتطرق تماما الى زوجتي السفاح واخيه أبو جعفر و يبدو لنا ان أثر النساء في حياتهما جلي ، فعندما اعتلى السفاح دست السلطة ، وظهر ذلك في عقد زواجه من ام سلمة المخزومية (أم سلمة المخزومية : هي سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله تزوجت ، عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ت 102 هـ / 720م ، ثم ابن

عمه أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ت 132هـ/750م ،وانتهى بها المطاف زوجة لابي العباس السفاح ، (الدار قطني،1986،ج1/ص3995م) شرطت ان يقسم في العقد ان لا يقرب غيرها حرة او أمة ووصف المسعودي تسلطها عليه بقوله: "وغلبت عليه غلبة شديدة ، حتى ما كان يقطع أمراً إلا بمشورتها وتأميرها حتى أفضت الخلافة اليه ، فلم يكن يدنو إلى النساء غيرها لا إلى حرة ولا إلى أمة ، ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها" (المسعودي،2005،ج3/ص361) . ويبدو ان سبب لجوء هذا النساء لهذا الأسلوب لأنها ترغب بأن تكون الخلافة في ذريتها وحسب لذا لم تكن لتسمح للخليفة بتعدد زيجاته . فضلاً عما عرفت به النساء من الغيرة في حال تعدد الزوجات او الجواري والمحظيات (Matthew Gordon& Kathryn A. Hain 2017 ,P62)

لذا سعت للبقاء سيدة البلاط الأولى وبلا منافس . فضلاً عن ذلك وبغض النظر عن القسم الذي أدلى به أبو العباس السفاح أنها كانت تتمتع بشخصية قوية استطاعت فرض رأيها وإقناع خليفة العباسيين الأول ، لذا لم يتردد في قبول طلبها او يمتنع عن رفضه بغض النظر عن ماهية طبيعته.

حتى إن المأمون الذي عد من أكثر العباسيين دهاءً كان يذعن لطلبات النساء ،فبعد تزوج ببوران ابنة وزيره الحسن بن سهل ،شفعت الأخيرة لأم شقيقه زبيدة في السماح لها بأداء مناسك الحج (ابن طيفور،2002،ص115؛ مسكويه،د.ت،ج4/ص158) وبينت المستشرقة مارينا تولماتشيفا Marina Tolmacheva (مارينا تولماتشيفا: استاذة التاريخ في جامعة ولاية واشنطن ،نالت دجة البكلوريوس من جامعة سانت بطرسبرغ ، ودرجة الدكتوراه من الاكاديمية الروسية للعلوم ،وهي متخصصة في التاريخ العربي والحضارة الإسلامية ،ولها العديد من المساهمات والتأليف بلغت 50 مقالاً ،شبكة الإنترنت مقال منشور على موقع جامعة ولاية واشنطن) دافع المأمون بقبول طلبها تخوفه من إثارة الشغب وتبدل الرأي العام في الأماكن التي أنشأت فيها زبيدة أعمالاً خيرية (هامبلي،2014،ص206) ،وهذه الخطوة لم تكن الأولى من نوعها فتأثير النساء في قرارات المأمون كان واضحاً ،عبر علاقته بجاريته عريب المأمونية التي أتقنت لعب الشطرنج فضلاً عن الغناء والشعر ودورها كاتبة لرقاعه، وكانت ذا حظوة عند الأخير ،حتى ان مكانتها وصلت لدرجة الشفاعة في الأعيان والمقربين منها في مجلسه (ابن طيفور،2002،ص150-151).

عدّ المستشرق البريطاني هيو نايجل زواج المهدي العباسي من الخيزران بمثابة خرق للقواعد والقيود التي عرف بها البلاط العباسي لأنها في الأساس جارية أعتقت وصارت شريكة لحياته (كيندي،2009،ص244) ، فعمه أبي العباس السفاح ووالده المنصور كانا ينحازان الى الاقتران وعقد الزيجات من الحرائر ذات النسب العربي الأصيل ومن دون مصدر آخر رغم العروض التي قدمت اليهما بزواجهم من جواري عرفن بجمال الشكل والمظهر ،(المسعودي،2005،ج3/ص261-263؛حسن،60،2013) .

في التأثير السياسي للنساء لا تقل زوجة المتوكل 232-247هـ/847-861م شغب ت 321هـ/933م وأم ولده المقتدر 295-320هـ/908-932م عن الخيزران شأناً ، إذ كان لصغر سن ولدها حجة في إدارة سياسة الدولة وشؤونها ان فسخ الأمر لها للتصرف بالملك بما يحلو لها ويظهر ذلك من قول المسعودي الذي نقد الوضع بقوله : "لم يعان الأمور ، ولا وقف على أحوال الملك. فكان الأمراء والوزراء والكتاب، يدبرون الأمور، ليس له في ذلك حل ولا عقد، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم" (المسعودي،د.ت،328) . وفي ذلك يرى المستشرق البريطاني هيو نايجل كينيدي أنها كانت واحدة من أربع نساء ذوات أثر في البلاط العباسي بقوله: "هنالك أربع نسوة سيطرن على

الحريم في أيامهن ، وتركهن سمعة في الأدبيات التاريخية والذاكرة الشعبية وهؤلاء هن : الخيزران زوجة المهدي وأم الهادي وهارون، وزبيدة زوجة هارون وأم الأمين وقبيحة أم المعتز وشغب أم المعتز (كيندي، 2009، ص244) ويبدو لنا أن ذلك غير صائب فكما أشرنا لدور أم سلمة زوجة أبي العباس السفاح وأثرها في اتخاذ قراراته، لم تكن أم موسى الحميرية (أم موسى الحميرية : هي أروى بنت منصور الحميرية ، تزوجها المنصور في القيروان أيام بني أمية ، وكانت تزوجت قبله بأحد ولد من عبيدالله بن العباس ، ابن عبد ربه، 1983، ج5/ص271) زوجة المنصور بأقل من ذلك ، إذ اشترطت عليه بمثل ما صنعت أم سلمة وأخذت عهدا عليه مكتوباً ، وعلى الرغم من محاولات المنصور اليائسة التملص والتهرب والحنث بالعهد الذي بينهما باستفتاء فقهاء العراق والحجاز ، إلا أن أم موسى كانت على علم بما يصبو اليه المنصور، فتبطل ما يتوق إليه بما تمنحه للفقهاء من أموال (الطبري، 1967، ج8/ص87-88؛ ابوت، 1969، ص28) .

أما دور زبيدة زوجة هارون ، فلم تحظ باهتمام مماثل في دراسات المستشرقين لمحدودية دورها السياسي قياساً بنظيراتها المؤثرات في القرار السياسي وجل الأنظار توجهت نحو طبيعة علاقتها الزوجية بهارون الرشيد أو أعمالها الخيرية (كلو، 1986، ص70-71؛ مروزي، 2023 ، 73-75؛ كوك، 2014، ص48؛ هامبلي، 2014، ص203-206) .

واستعان أبو جعفر المنصور بالنساء في تقصي أحوال الناس، فقد استعمل العجائز من النساء مستغلاً كبر سنهن كعيون لهم على العامة بحكم أنهم لا يثرن الشكوك والريبة و يكسبن تعاطف الناس لتقدمهن في العمر ، فمن خلال ما ينقلن من أخبار لم تكن أحوال البلاد وأسرار الناس تخفى عليهم (سبط ابن الجوزي، 2013، ج18/ 288) ، وقد أوكل أبو جعفر المنصور لبعض النساء أن يكونن عيون له في معرفة تحركات محمد ذو النفس الزكية (البیهقي، د.ت، ص72) ، حتى ان المأمون له ببغداد وحدها أكثر من ألف عجوز لا ينأى عن يمينه حتى يسمع أخبار الناس منهن (النويري، 2003، ج22/ص239؛ المقرئ، 2006، ج4/ص194) .

على أي حال انحاز المستشرقون في هذا العهد لدراسة الشخصيات البارزة من النساء على مستوى البلاط أكثر مما في نساء عامة المجتمع ذاته وترى المستشرقة السويدية بيرنيللا ميرن (Pernilla Myrne) (بيرنيللا ميرن : مؤرخة سويدية ولدت عام 1968م ، ونالت درجة الدكتوراه وسمت ب السرد والنوع والسلطة عن المرأة في الأدب العباسي ، توجهت اهتمامها لدراسة النساء والجنس في العالم الإسلامي منذ البدايات حتى الوقت الحاضر، شبكة الإنترنت مقال منشور على موقع جامعة غوتنبيرغ)

إن حكم العباسيين شهد تراجع دور المرأة العربية الحرة أمام نفوذ وسلطة الجوّاري، (Matthew Gordon & Kathryn A. Hain 2017) ، ولا ننق رأياً تماماً لأن اهتمامات المؤلفين من مؤرخين وأدباء أو حتى فقهاء المسلمين بتدوين بسير نساء النخبة وأخبارهن (رودد ، 2013، ص29) ، وأفردوا عناوانات اختصت بتراجم النساء المسلمات ونشاطاتهن ، بالرغم من انه لم يصلنا من هذا اللون من التأليف إلا النزر اليسير ، إذ وضع ابن طيفور ت280هـ/893م كتاباً أسماه "بلاغات النساء" لم يبين لنا سبب تدوينه ، أما باقي المؤلفات فمدونوها كانوا أدباء ذكروا أخبار العشاقين، وقد وردنا في ذلك كتاب القينات للجاحظ ، و"كتاب النساء" لابن قتيبة الدينوري 276 هـ/889م وبالإمكان تفسير الاهتمام لتدوين أخبار النساء عند فئة الأدباء بخاصة الجوّاري والمحظيات لبراعتهن بما امتلكن إما لجمالهن أو طبيعة الخلق ، أو ما امتلكنه هذه الشريحة من مؤهلات وموهبة لم يجدها الرجال في أزواجهم كعذوبة الصوت وإلقاء الشعر ، حتى دفعت

الرجال شباناً وشيوخاً للتهافت والإقبال عليهن (فارمر، 2010، ص 32) . وفي ذلك يرى المستشرق البريطاني هيو نايجل كيندي هذا الإقبال بقوله: "كن يسليين ويدخل السرور على أسيادهن وأصدقائهم مثل الهتاري عند قدماء الاغريق والجيشا عند اليابانيين التقليديين ،فعدد كبير من هؤلاء الجواري المغنيات كن متدربات أحسن تدريب وماهرات وذكيات وكن الحاملات الرئيسيات لثقافة البلاط الى جانب الندماء الذكور في تلك الفترة...." (كيندي، 2009، ص 236) .

وثمة تأليف وضع بناء على رغبة أرباب السلطة مثلما صنع أبو الفرج الأصفهاني بتأليفه كتاب الإماء الشواعر امتثالاً لطلب الوزير المهلب ت 352هـ / 963م وتضمن فيه أخبار النساء الشواعر في العصر الأموي والعباسي (الأصفهاني، د.ت، ص 21) ، وكتاب آخر هو " نزهة الملوك والأعيان في أخبار القيان والمغنيات " تعرضت بعض أجزاء مقدمته للتلف فحال دون معرفة سبب الأصفهاني لتأليفه (الأصفهاني، 1989، ص 37)

وهناك عنوانات وضعها فقهاء الشام إلا أنها وصلت إلينا من عصر متأخر إبان حكم المماليك، اقتصر أعمالهم بذكر الصالحات من النساء كأخبار النساء لابن قيم الجوزية ت 751هـ / 1350م فضلاً عن ابن المبرد (ت 909هـ / 1053م) بعنوان "تجوم المسا تكشف معاني الرسا للصالحات من النساء) ، ونعزو اهتمام المؤلفين في العور الإسلامية بالترجمة لهذه الفئة لما أحدثته من أثر إيجابي في المجتمع الإسلامي لكونهن أجزن رواية الحديث الشريف او حافظات للكتاب الكريم ، كما أن كثير من الفقهاء تتلمذ على يد بعض المحدثات، لكن رغم ذلك لا نجد ميلاً واهتماماً ممن ألف لأخبار النساء بوضع سيرة مفردة لإحدى نساء المسلمين في الاطار الزمني لموضوع بحثنا من اللاتي تصدين لهذا الدور مثلما صنعوا مع مشايخهم بالترجمة لهم في كتب مفردة !!

أما بالنسبة لنساء البلاط فابن النديم أورد لنا كتاباً للمدائني ت 225هـ / 843م وعنوانه "من تزوج من نساء الخلفاء"، (ابن النديم، 1997، ص 131) قدر له ان لا يصل لأيدينا ، إلا أننا نجد أخبارهن متناثرة بين مصنفات المؤلفين رغم ما بذلته السلطة في التشجيع على التدوين والتأليف بما يخدم مصالحها كما اشرنا لذلك فيما مضى ، و بواعث أخرى دفعت المسلمين للبت بتدوين أخبارهن بصورة أكثر إيجابية، منها البيئة التي نشأ فيها المسلمين التي اتسمت بكونها دينية محافظة لا تميل للحط من قدر زوجاتهم (هاليفي، 2024، ص 35) . فضلاً عن باعث آخر ، اذ شهد هذا العصر تعاظم الشعبية، وانجرف شخصيات كثر بغض النظر عن انتمائهم المعرفي ، فقد وضع ابي البختري (ابي البختري : وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود ، ولا يعرف تاريخ ولادته ، ذكره ابن سعد بانه من أهل المدينة ، وخرج منها قاصداً الشام ، ثم قدم بغداد وتولى قضاء عسكر المهدي ، ثم عزله وولاه أمر المدينة المنورة ، عد بكار بن عبد الله الزبيري ت 256هـ / 869م ، وعرف بضعف روايته الحديث ، ابن سعد ، 2001، ج 7/ ص 239-240؛ الخطيب البغدادي، ج 15/ ص 625-633) كتاباً عد من المفقودات اسماء "فضل العربيات على الحضريات" (ابن النديم، 1997، ص 133) .

بالجوء الى التحليل النفسي للفرد العربي وهو طابع الغيرة والحرص الشديد على نسائه لذا اتصف التدوين عن أخبارهن بصورة هي الأقرب الى التكم والسرية إذ إن المرأة في نظر المسلم مستودع لشرفه ؛فحتى الشعراء امتنعوا عن ذكر أسماء محباتهم بحكم العرف الاجتماعي الذي كان مستشريا بين المسلمين واذا ما حل ذلك فتعتبره الأسرة او العشيرة خدش للشرف (هامبلي، 2014، 16-17؛ جرونيباوم ، د.ت، ص 335) ، ونستشهد بما أورده الصابي ت 384هـ / 994م في رواية يطول سندها بقوله : "كنا بحضرة أبي عمر القاضي (ابي عمر القاضي : هو الحسين بن عمر بن أبي عمر القاضي أبو محمد بن الحسين ، تولى قضاء بغداد في عهد الراضي ، وأبقاه الخليفة المتقي 329-333هـ / 940-944م بضعة

اشهر ،ثم عزله وانتقل الى أصفهان ،واستقر بيزد حتى توفي بها سنة 362هـ/ 972م ،مسكويه،د،ت،ج14/ص217-218) ، فجرى ذكر ابن الجصاص وغفلته، فقال أبو عمر: معاذ الله ما هو كذلك، ولقد كنت عنده منذ أيام مسلما، وفي صحنه سراق مضرور، فجلسنا بالقرب منه نتحدث، فإذا بصري نعل من خلف السراق فصاح: يا غلام جئني بمن مشيت خلف السراق الساعة، فأخرجت إليه جارية سوداء. فقال: ما كنت تعملين هاهنا؟ قالت: جئت إلى الخادم أعرفه أنني قد فرغت من الطبخ، وأستاذن في تقديمه. فقال: انصرفي لشأنك. فعلمت أنه أراد أن يعرفني أن ذلك الوطء وطء سوداء مبتذلة، وأنها ليست من حرمه ولا ممن يصونه، فيزيل عني أن أظن به مثل ذلك في حرمه، ... (التنوخي،د،ت،ج1/ص26).

ونرى أن السبب الذي نما اهتمام المؤرخين والفهاء لكتابة سير النساء وإعطاء صورة إيجابية لهن، لشيوع ظاهرة الانحلال الاجتماعي وتبدل عاداته وقيمه المحافظة، التي لم يكن قد ألفها المسلمون في العصورين اللذان سبقا حكم العباسيين وبخاصة عند السلطة وحاشيتهم من الموظفين أو المتزلفين من الشعراء والأدباء الذين ذكروا أخبار النساء بما لا يتفق مع الشرع الإسلامي من حيث ذكر أخبار تتم عن الخلاعة والمجون في تلك المدونات أما بأبيات شعرية أو روايات تاريخية . ويبدو أن مادة تلك النصوص التي ارتبطت بتراجم المرأة النساء عند المؤلفين رتبت على نحو طبقي أو فتوي فلنساء السلطة النصيب الأكبر ،ثم الجواري والمحظيات ،فالبارزات في المجتمع من المحدثات وزاهدات ومتصوفات، وبالكاد نساء العامة بالكاد نجد لهن تراجم وأخبار تجعل لنا سبيلاً لمعرفة شخصياتهن وأدوارهن بصورة أكثر تفصيلاً (كينيدي،2009،ص243) على مستويات أخرى برزت أسماء لنساء نبغن وتوفق بالشعر كليلى بنت طريف الشيبانية ت200هـ/815م التي رثت أخاه الوليد بن طريف الذي عارض الخلافة العباسية وقتل في عام 179هـ/790م (البصري،د،ت،ج1/ص228-229؛ابن ايدمر،2015،ج7/ص465-466) ، إلا أن الإمام من الشواغر لم نجد لأثرهن اهتماماً عند المستشرقين الذي تصدوا لدراسة الأدب والفنون الإسلامية ، إذ إن تلك الاعمال انصبت على جهود الشعراء الرجال والبارزين منهم (مثل ذلك كل من أ.م. فيلشتنسكي ، الأدب العربي ؛رينتولد ، أنيكلسون ، تاريخ الادب العباسي) ، ما خلا عنان الناطفية التي بحثت في سيرتها المستشرقة السويدية بيرنلا ميرن ، وبينت انجذاب شعراء الغزل لسرعة البديهة و مجاراتها لهم ، حتى إن براعتها لغتت أنظار البلاط العباسي ، وبشكل عام تلفت النظر الى أحوال الجواري في سوق النخاسة او حتى بعد انتقال الى الاستقرار للعيش في بيت سيدها الجديد ، فأدى لخلق جو من المشاحنات الأسرية بين الزوجة و الجارية ، تتبين من خلال التنافس الشديد في إثبات مكانة المرأة عند الزوج او السيد ،بغض النظر عن الانتماء الطبقي للأسرة ، (Matthew Gordon& Kathryn A. Hain 2017 ,P59) (ومما يؤيد هذه الرؤية سعي زبيدة لإبعاد عنان الناطفية عن مخيلة زوجها هارون بعد أن أمسى لهجاً بذكرها (الاصفهانى،د،ت،ج23/ص88).

وميزة هذا العهد بروز شخصيات من النساء كان لهن دور وأثر في نشاطات الزهد والتصوف كرابعة العدوية التي عرفت بأنها من أوائل المتصوفين وفي طليعة الصفوة بزهدا وعبادتها.فضلا عن أنها كانت بداية لمرحلة إبداعية في التصوف الإسلامي اذ كان لها اثر في حياة اتباعها ومعاصريها كمعروف الكرخي ت200هـ/815م الذي عرف بكراماته (شيمل،2006،ص64)،وتلفت المستشرقة البريطانية مارغريت سميث Margaret Smith (مارغريت سميث: مؤرخة بريطانية ولدت في عام 1884م ،وهي الأخت السادس في عائلة مسيحية وهي الأخت السادسة من بين سبع أخوات ،في 1916م نالت درجة الدبلوم من جامعة أكسفورد بصفتها معلمة ،لتكون بعد ذلك أستاذة التصوف الإسلامي في كلية الدراسات

الشرقية للمدة 1930-1932م، وإبان الحرب العالمية الثانية قامت بتدريس الجنود اللغة العربية، توفيت في عام 1970م، شبكة الإنترنت مقال منشور على موقع ويكيديا عبر الرابط أدناه:

الى كون رابعة العدوية لم تكن تلتفت تعاليم التصوف على يد أحد المشايخ بل ان لها طريقتها الخاصة بالتقرب الى الخالق جل وعلا ،كما حظيت باحترام أقرانها ممن سلكوا ذات الطريق (Smith,2001,P71) .

أما بالنسبة الى المستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل Annemarie Schimmel (مؤرخة ألمانية ولدت عام 1922م ،في أسرة مسيحية على المذهب البروتستانتي ميسورة الحال على المستوى المادي ،إذ عمل أباهما بائعاً للخبز ،ومن طفولتها كانت آنا ميالة لتاريخ الشرق ومعجبة بكل ما هو روحي منه ،وفي عام 1939م بدأت الدراسة في جامعة برلين وهي في عمرها السابع عشر ،وبتشجيع أستاذها هاينريش شايدر أتمت دراستها لتتال درجة الدكتوراه عن منصب الخليفة والقاضي في مصر أواخر العصور الوسطى ،وهي في عامها التاسع عشر ،ثم دخلت السلك الدبلوماسي وعملت في وزارة الخارجية الألمانية ،وبحلول عام 1954م نالت درجة الدكتوراه الثانية من جامعة ماربورغ في تاريخ الأديان ،ثم انتقلت بعد ذلك الى تركيا ثم الى أمريكا ،لنعود الى بلدها الأم حتى وفاتها عام 2003م ،شبكة الإنترنت ،مقال منشور على موقع ويكيديا)

فترى أن سبب الاهتمام برابعة العدوية دون الأخريات هو ما نسب اليها من كرامات مبالغ فيها لم تسجل لقربانها في عهدها على الرغم من وجود الكثير من أسماء النساء اللاتي لمعن في التصوف (شيمل،2016،ص65-75) .

الخاتمة :

بينت الدراسة أن آراء المستشرقين جاءت متباينة من مستشرق الى آخر وبني هذا الاختلاف نتيجة اختلاف التوجهات الفكرية لكل منهم.

أكد المستشرقون على دور المرأة وأثرها في الساحة السياسية حتى باتت تؤثر في صناعة القرار السياسي الصادر عن مؤسسة الخلافة على الرغم من القيود التي عرف بها المسلمون .

بالمقارنة مع واقع المرأة في العصور الوسطى الأوروبية فإن حضور المرأة المسلمة ومشاركتها في الحياة العامة هو نقىض ما روج له الخطاب الاستشراقي .

قائمة المصادر والمراجع :

- المصادر الأولية :

• ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة ت 668هـ/1270م :

1- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،د.ت

• الأصفهاني ،علي بن الحسين ت 356هـ/976م :

2- الأغاني ،تحقيق إبراهيم السعافين وآخرين ،دار صادر ،بيروت-د.ت.

• ابن ايدمر ، فلك الدين أبو نصر محمد بن سيف الدين ت 710هـ/1310م :

3- الدر الفريد وبيت القصيد ،تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية ،بيروت-2015م

• البصري ،علي بن أبي الفرج بن الحسن ، ت 659هـ/1260م :

4- الحماسة البصرية ،تحقيق مختار الدين أحمد ،عالم الكتاب ،بيروت-د.ت.

- البيهقي، إبراهيم بن محمد ت 320هـ/932م :
- 5- المحاسن والمساوي د.ت -د.م
- التتوخي، المحسن بن علي بن محمد ت 384هـ/994م :
- 6- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ،د.ت-د.م
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بين محمد ت 597هـ/1201م :
- 7- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية، بيروت-1992م
- الخطيب البغدادي :أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت 463هـ/1071م
- 8- تاريخ بغداد او كما يعرف ب تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قاطناتها العلماء من غير أهلها ووارديها تحقيق بشار عواد معروف ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت- 2002م
- الدارقطني، علي بن عمر بن احمد ت 385هـ/995م :
- 9- المؤلف والمختلف ،تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت-1986م
- ابن سعد ،محمد بن سعد بن منيع (ت 230هـ/845م):
- الطبقات الكبرى، تحقيق : علي محمد عمر ،مكتبة الخانجي ،القاهرة-2001م.
- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي بن عبد الله ، ت 654هـ/1256م
- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق إبراهيم الزبيق وآخرون، دار الرسالة العلمية ،دمشق-2013م
- الطبري، محمد بن جرير ت 310هـ/923م :
- تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعارف، ط2، القاهرة -1967م
- ابن طيفور ،أحمد بن أبي طاهر ت 280هـ/893م :
- كتاب بغداد ،تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي ،ط3 ،القاهرة-2002م
- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد بن عبد ربه ت 328هـ/940م :
- العقد الفريد، د.ت ،دار الكتب العلمية ،بيروت-1404م
- القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف ت 646هـ/1248م :
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،بيروت-2005م
- المسعودي ، علي بن الحسين بن علي ت 346هـ/957م :
- التنبيه والأشراف ، تحقيق :عبد الله الصاوي، دار الصاوي ،القاهرة-د.ت
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تحقيق كمال حسن مرعي ،المكتبة العصرية ،بيروت-2005م
- مسكويه ،أحمد بن محمد بن يعقوب ت 421هـ/1030م
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم ،د.ت-د.م
- المقرئزي ،أحمد بن علي بن عبد القادر ت 845هـ/1442م :
- المعقلى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-2006م

• النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت 721/هـ/1278م :

نهاية الأرب في فنون الأدب ، د.ت، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة-1423م

• ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق ت 384/هـ/994م

الفهرست ، تحقيق إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت-1997م

- المراجع الثانوية :

اولاً- المراجع باللغة العربية:

• أبوت ، نابيا :

-ملكتان في بغداد الخيزران ام هارون الرشيد وزبيدة زوجته ، ترجمة عمر أبو النصر ، مطبعة النجوى ، د.م-1969م

• بالتا، بول واخرون :

الإسلام والقرآن محاولة لمناقشة أفكار شائعة عن الإسلام في الغرب، دار المدار الإسلامي ، بيروت-2023م

• حسن ، سولاف فيض الله :

دور الجواني والقهرمانات في دار الخلافة العباسية ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق-2013م

• رودد ، روث :

النساء في التراجم الإسلامية ، ترجمة عبد الله إبراهيم العسكر ، جداول للنشر والترجمة ، بيروت -2013م

• شميل ، أنا ماري:

الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، ترجمة رضا حامد ومحمد إسماعيل السيد ، منشورات الجمل ، بغداد-2006م

روحي أنثى ، الأنوثة في الإسلام ، ترجمة لميس قايد ، الكتب خان للنشر ، القاهرة-2016م

• فارمر ، هنري جورج :

الموسيقى والغناء في ألف ليلة وليلة ، ترجمة حسين نصار ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2010م

• جرونيباوم ، جوستافوف ، أ:

-حضارة الإسلام ، ترجمة عبد العزيز توفيق الجاويد ، مكتبة مصر ، د.م-د.ت

• كاهن ، كلود :

الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور الدولة العثمانية. ترجمة حسين جواد قبيسي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2010م

• هامبلي، غافن :

المرأة في العصور الإسلامية الوسطى ، ترجمة أحمد طلعت وآخرون ، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت-2014م.

كلو ، اندري :

33-هارون الرشيد وعصره ، تعريب وتعليق: محمد الرزقي ، المعهد الفرنسي للتعاون ، تونس -1986م

• كوك ، ريتشارد :

34-بغداد ، مدينة السلام ، ترجمة فوائد جميل ومصطفى جواد ، دار ومكتبة عدنان ، بغداد-2014م

• كينيدي ، هيو :

- 35-بلاط الخلفاء: قيام وسقوط أعظم أسرة حاكمة في الإسلام، ترجمة فائزة إسماعيل أكبر، المركز القومي للترجمة، القاهرة-2009م
- ماروزي، جستين :
- 36-بغداد مدينة السلام ومدينة الدم، ترجمة غسان مازن، نابو للنشر والتوزيع، بغداد-2023
- هارتمن، مارتين :
- 37-عالم الإسلام، تاريخ، عقيدة، فقه، ترجمة محمود كيببو، دار الوراق، د-م، 2021م
- هاليفي، ليور :
- 38-قبر محمد طقوس الموت وتكوين المجتمع الإسلامي، ترجمة هلال محمد الجهاد، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت-2024م

-المراجع غير المترجمة :

- Amari, Michele:
History of the War of the Sicilian Vespers, Kessinger Publishing,2007.
- Brown, Elizabeth A:
The Monarchy of Capetian France and Royal Ceremonial, Variorum,1991.
- Esposito , John L & DeLong-Bas, Natana J:
Women in Muslim Family Law,2nd edition, Syracuse University Press,2001.
- Kotapish,Dawn:
Daily Life in Ancient and Modern Baghdad, Lerner Pub Group,2000.
- Fleming, Peter:
Family and Household in Medieval England, Red Globe Press,2000
- Gordon , Matthew S &Hain, Kathryn:
Concubines and Courtesans: Women and Slavery in Islamic History, Oxford University Press,2017.
- Lowry , Colleen A:
Marriage and Divorce in Late Fourteenth Century Jerusalem, A Master Thesis unpublished, History department , Portland State University – 2007
- M. Setton,Kenneth & W,hazard:
A History of the Crusades, University of Wisconsin Press,1975.
- Nicol,Donald:
The Last Centuries of Byzantium,2nd edition, Cambridge University Press,2008.
- Rosenthal,Franz
Fiction and Reality: Sources for the Role of Sex in Medieval Muslim Society Society and the Sexes in medieval Islam, los Giorgio Levi Della Vida Conference 1977 University of California.
- Schein,sylvia:
Fideles Crucis: The Papacy, the West, and the Recovery of the Holy Land, 1274-1314, Oxford University Press,1991.
- Smith, Margaret:
Rābi'a the Mystic & her fellow-saints in Islam, Oneworld Publications.2001.

البحوث والمقالات:

الربيعي، وسام محمد عبود والقريشي مروة علي حسين :

مواقع الانترنت :

:gu.se

<https://www.gu.se/en/about/find-staff/pernillamyne>

:Wikipedia

https://fr.wikipedia.org/wiki/Andr%C3%A9_Cl%C3%A9ment

[https://en.wikipedia.org/wiki/Margaret_Smith_\(orientalist\)](https://en.wikipedia.org/wiki/Margaret_Smith_(orientalist))

https://en.wikipedia.org/wiki/Annemarie_Schimmel

:wsu.edu

<https://public.wsu.edu/~tolmache>

